الزنغرية (زحلق)

قرية الزنغرية (زُحْلُق) – قضاء صفد

الزنغرية، المعروفة أيضًا باسم زُحْلُق، قرية فلسطينية مهجّرة من قرى قضاء صفد في الجليل. كانت تقع على بعد نحو 8.5 كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة صفد، على ارتفاع يقارب 250 مترًا عن سطح البحر، وتشرف على وادي الأردن وتواجه مرتفعات الجولان. بلغت مساحة أراضيها 27,918 دونمًا، وقدّر عدد سكانها في إحصاءات 1944/1945 الرسمية بـ840 نسمة. هُجّر سكانها في 4 أيار/مايو 1948 خلال عملية ماتاتي، المعروفة أيضًا باسم «المكنسة»، وهي عملية فرعية ضمن عملية يفتاح.

موقع قرية الزنغرية

كانت الزنغرية قائمة في تجويف على جانب تل واسع ينحدر انحدارًا لطيفًا نحو الشرق. وكانت تواجه مرتفعات الجولان وتشرف على وادي الأردن، بينما امتدت عدة ينابيع إلى الشمال الغربي منها على طول وادي الغارة.

ربطت طريق ترابية القرية بطريق صفد–طبرية العام، وهو ما وفر لها اتصالًا بصفد وبالمنطقة الواقعة شمال بحيرة طبرية ووادي الأردن.

وتشير المصادر الفلسطينية التي تناولت جغرافية المنطقة إلى أن الزنغرية كانت تقع وسط مجموعة من القرى والتجمعات، من بينها الويزية ومنصورة الخيط والبطيحة وجب يوسف والجاعونة، فضلًا عن تجمعات عرب الشمالنة والسمكية وطوبى في المنطقة الأوسع. وتختلف بعض المصادر في رسم الحدود الدقيقة بين أراضي هذه التجمعات، لذلك لا ينبغي تحويل قائمة القرى المحيطة إلى حدود مساحية دقيقة من دون الرجوع إلى خرائط الأراضي التفصيلية.

اسم الزنغرية وزُحْلُق

حملت القرية اسم «الزنغرية» نسبة إلى عرب الزنغرية من البدو، الذين استخدموا الموقع في البداية مضربًا لخيامهم ثم استقروا فيه تدريجيًا.

أما اسمها الآخر «زُحْلُق»، فيرجح وليد الخالدي أنه مرتبط بطبيعة السفح الذي بُنيت عليه القرية، إذ كان عرضة لانزلاقات الأرض. ومن ثم فإن «الزنغرية» و«زُحْلُق» اسمان للمكان نفسه، لا لقريتين مختلفتين.

العمران في الزنغرية

كانت منازل القرية تُبنى أساسًا من الطين والحجارة، وتنقسم إلى مجموعتين عمرانيتين رئيسيتين: مجموعة شرقية كانت تعرف باسم «الزنغرية الشرقية»، وأخرى غربية تعرف باسم «الزنغرية الغربية».

وكانت المسافة بين المجموعتين نحو 275–365 مترًا تقريبًا. ولا يعني هذا التقسيم وجود قريتين مستقلتين؛ بل كانتا جزأين من التجمع العمراني للزنغرية.

سكان قرية الزنغرية

السنة	عدد السكان	طبيعة الرقم / ملاحظات
1922	374	تعداد فلسطين الرسمي لسنة 1922
1931	526	تعداد فلسطين الرسمي لسنة 1931
1944/1945	840	إحصاء رسمي تقديري صادر عن حكومة فلسطين، وليس تعدادًا سكانيًا جديدًا
1948	974	تقدير لاحق يورده فلسطين في الذاكرة، وليس تعدادًا رسميًا
1998	5,984 لاجئًا وذريتهم	تقدير لاحق منشور في فلسطين في الذاكرة

وتوضح منهجية كتاب «كي لا ننسى / All That Remains» أن أرقام السكان لسنة 1944/1945 في إحصاءات القرى كانت تقديرات رسمية أعدتها دائرة الإحصاء في حكومة فلسطين بالاستناد إلى تعداد سنة 1931، وليست نتيجة تعداد سكاني جديد أجري سنة 1945.

عدد البيوت في الزنغرية

السنة	عدد البيوت	طبيعة الرقم
1931	97 منزلًا	تعداد رسمي
1948	179 منزلًا	تقدير لاحق في فلسطين في الذاكرة؛ وليس تعدادًا رسميًا

ملكية أراضي قرية الزنغرية

بلغت مساحة أراضي الزنغرية 27,918 دونمًا. ويعرض فلسطين في الذاكرة جدول الملكية بالمصطلحات التالية:

نوع الملكية	المساحة بالدونم
فلسطيني	27,856
تسرّبت للصهاينة	0
مشاع	62
المجموع	**27,918**

أما PalQuest، الذي يعرض الفئات الواردة في إحصاءات 1944/1945، فيسجل 27,856 دونمًا ضمن فئة «عرب» و62 دونمًا ضمن فئة «عام»، بمجموع 27,918 دونمًا، ولا يسجل أي مساحة ضمن فئة الملكية اليهودية.

استخدام أراضي الزنغرية سنة 1944/1945

نوع الاستخدام	عرب	عام	المجموع بالدونم
الحبوب	7,265	0	7,265
غير صالحة للزراعة	20,591	62	20,653
المجموع	**27,856**	**62**	**27,918**

ويتطابق مجموع فئات استعمال الأرض مع المساحة الإجمالية للقرية. ولا يعرض الجدول المتاح رقمًا منفصلًا موثوقًا لمساحة الأرض المبنية، لذلك لا يجوز استخراج مساحة بناء مستقلة من رقم الأراضي العامة البالغ 62 دونمًا.

الحياة الاقتصادية في قرية الزنغرية

شكّل الرعي أحد أهم أسس الحياة الاقتصادية في الزنغرية، وهو مرتبط بخلفية عرب الزنغرية البدوية وطبيعة الأراضي الواسعة المحيطة بالقرية. وكان الرعاة يتنقلون بمواشيهم بين وادي الأردن في فصل الشتاء والمنحدرات الشرقية

لجبال الجليل خلال فصل الصيف.

كما مارس السكان الزراعة البعلية والمروية. وزُرعت الحبوب والفاكهة والبصل، وخصص للحبوب وحدها 7,265 دونمًا في إحصاءات 1944/1945.

وكان السكان يربون الأغنام والجواميس وغيرها من المواشي، في حين مثّل صيد الأسماك في بحيرة طبرية ونهر الأردن نشاطًا اقتصاديًا مهمًا لشريحة من الأهالي.

المياه في الزنغرية

وجدت عدة ينابيع إلى الشمال الغربي من القرية على امتداد وادي الغارة. واستُخدمت المياه، إلى جانب الأمطار، في الزراعة، ولذلك جمعت الزنغرية بين الزراعة البعلية والزراعة المروية.

ولا تقدم المصادر الأساسية التي تمت مراجعتها قائمة موثقة كاملة بأسماء جميع ينابيع القرية أو الآبار التابعة لها، لذلك لا تُضاف أسماء غير مثبتة إلى هذا القسم.

التعليم في قرية الزنغرية

تؤكد مادة وثائقية مفهرسة في فلسطين في الذاكرة وجود مدرسة في الزنغرية خلال فترة الانتداب البريطاني. ومن بين الوثائق رسالة مؤرخة في 18 أيلول/سبتمبر 1946 من مفتش المعارف تتعلق بتعيين المعلم محمد عبد الهادي الزهوري معلمًا إضافيًا في قرية الزنغرية.

وتثبت هذه الوثيقة وجود نشاط تعليمي منظم في القرية في ذلك التاريخ، لكن المصادر الأساسية التي تمت مراجعتها لا توفر بصورة كافية تاريخ تأسيس المدرسة أو عدد طلابها، ولذلك لا يُنسب إليها تاريخ تأسيس أو رقم للطلاب غير موثق.

الآثار في الزنغرية

يذكر وليد الخالدي وجود دلائل على استيطان أقدم في موقع الزنغرية، منها أساسات أبنية دارسة وحظيرة مبنية بحجارة البازلت.

وترد في مصادر فلسطينية محلية أسماء عدد من الخرب والمواقع المحيطة بالقرية، إلا أن هذه التفاصيل تحتاج إلى دراسة أثرية مستقلة قبل تحويلها إلى تحديدات أثرية نهائية؛ لذلك يقتصر هذا المقال على المعلومات التي يوردها المصدر الأساسي بثقة.

عملية يفتاح وعملية ماتاتي / المكنسة

بدأت عملية يفتاح في 15 نيسان/أبريل 1948، واستمرت حتى 25 أيار/مايو. وكانت تهدف إلى السيطرة على الجليل الشرقي قبل انتهاء الانتداب البريطاني. وكانت قوات البلماح القوة الأساسية في العملية، وكانت الكتيبة الأولى للبلماح رأس حربتها على مستوى العملية العامة.

وفي 4 أيار/مايو 1948 أطلقت الهاغاناه عملية «ماتاتي» أو «المكنسة» كعملية فرعية ضمن يفتاح. واستهدفت العملية المنطقة الواقعة شرقي صفد والقريبة من نهر الأردن، وشملت بصورة مباشرة الزنغرية والطابغة وعرب الشمالنة.

ونصت الأوامر الصادرة إلى قادة سرايا البلماح قبل العملية على مهاجمة هذه القرى وطرد سكانها ونسف منازلهم. وينقل وليد الخالدي هذه المعلومات عن مصادر تناولت أوامر العملية.

احتلال الزنغرية وتهجير سكانها

مع اقتراب طوابير البلماح من الزنغرية والقرى المستهدفة في 4 أيار/مايو 1948، غادر السكان باتجاه الشرق نحو سورية.

وتؤكد برقية أرسلها قائد جيش الإنقاذ العربي إلى القيادة العليا في سورية أن الزنغرية احتُلت في 4 أيار/مايو، وأن احتلالها أعقبه هجوم على مدينة صفد.

ولا يقتصر سياق تهجير الزنغرية على الخوف الناتج من اقتراب القوات؛ إذ كانت أوامر العملية نفسها تنص على طرد سكان القرى المستهدفة ونسف بيوتها. لذلك يرتبط تهجير سكان الزنغرية مباشرة بالهجوم العسكري وسياسة الإخلاء التي رافقت عملية المكنسة.

الوحدة العسكرية التي هاجمت الزنغرية

تحدد المصادر الأساسية عملية ماتاتي بوصفها عملية نفذتها الهاغاناه بواسطة قوات البلماح، كما تتحدث صراحة عن الأوامر الموجهة إلى قادة سرايا البلماح وعن اقتراب طوابير البلماح من القرى المستهدفة.

أما الكتيبة الأولى للبلماح، فتصفها مصادر عملية يفتاح بأنها رأس الحربة في العملية العامة. لكن مدخل وليد الخالدي الخاص بالزنغرية لا يحدد بصورة مستقلة اسم الكتيبة التي دخلت القرية تحديدًا، ولذلك لا يصح الجزم بأن الكتيبة الأولى هي التي اقتحمت الزنغرية من دون توثيق خاص بذلك.

تسلسل الاحتلال

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
بدء عملية يفتاح	15 نيسان/أبريل 1948	بدأت عملية واسعة للسيطرة على الجليل الشرقي، وكانت الكتيبة الأولى للبلماح رأس الحربة فيها عمومًا.
بدء عملية ماتاتي / المكنسة	4 أيار/مايو 1948	بدأت العملية الفرعية التي استهدفت المنطقة شرقي صفد، وشملت الزنغرية والطابغة وعرب الشمالنة.
نزوح السكان	4 أيار/مايو 1948	غادر سكان الزنغرية شرقًا باتجاه سورية مع اقتراب طوابير البلماح، في سياق أوامر نصت على طرد سكان القرى المستهدفة.
احتلال القرية	4 أيار/مايو 1948	تؤكد برقية لقائد جيش الإنقاذ العربي أن الزنغرية احتُلت في هذا اليوم.
نسف المنازل	5 أيار/مايو 1948 تقريبًا	قام اللغامون في اليوم التالي بنسف منازل بصورة منظمة في الزنغرية والقرى الأخرى التي استهدفتها العملية. ويشير المصدر إلى أكثر من خمسين منزلًا عبر القرى المستهدفة، وليس بالضرورة في الزنغرية وحدها.
إحراق القرية خلال الهدنة	17 حزيران/يونيو 1948	نقلت نيويورك تايمز عن مسؤولين سوريين أن قوات الاحتلال الإسرائيلي أضرمت النار في الزنغرية خلال الهدنة. ويرجح وليد الخالدي أن ذلك ربما أكمل تدمير القرية.

اللاجئون من الزنغرية

كان الاتجاه الرئيسي لخروج سكان الزنغرية نحو الشرق إلى سورية. وتقول السلطات السورية، وفق رواية نقلها وليد الخالدي عن أحداث عملية المكنسة، إن الهجوم على المنطقة أدى إلى دخول نحو 2,000 لاجئ جديد إلى سورية؛ وهذا الرقم يخص موجة اللاجئين الناتجة من العملية في المنطقة، ولا يمثل عدد سكان الزنغرية وحدها.

ويقدر فلسطين في الذاكرة عدد لاجئي الزنغرية وذريتهم سنة 1998 بنحو 5,984 شخصًا. وهذا تقدير لاحق وليس إحصاءً رسميًا من زمن الانتداب.

المستعمرات الإسرائيلية على أراضي قرية الزنغرية

في سنة 1949 أُنشئت مستعمرة «إليفيليت» (Elifelet) على أراضي الزنغرية، إلى الغرب من موقع القرية.

أما مزرعة «كاري ديشي» (Kare Deshe) الخاصة، التي أُسست سنة 1954، فيذكر وليد الخالدي أنها تقع على بعد نحو 8 كم إلى الجنوب الغربي من الموقع. ولا يقرر النص أنها أُنشئت على أراضي الزنغرية، ولذلك ينبغي تمييزها عن إليفيليت.

كما يذكر وليد الخالدي مستعمرة باسم «بيداهيئيل» (Pedahe'el) ورد في معجم مفهرس للبلدات الإسرائيلية أن اسمها الأصلي كان «زنغريا بِت». إلا أن المعلومات عنها غير متاحة بصورة كافية، ويرجح أنها ربما هُجرت خلال

خمسينيات القرن العشرين، ولذلك لا يمكن التعامل معها بوصفها مستعمرة قائمة موثقة على أراضي القرية.

قرية الزنغرية اليوم

وفق الوصف الميداني المنشور في كتاب وليد الخالدي، لم يبق في موقع الزنغرية سوى كتل من حجارة البازلت كانت أجزاء من نحو 12 منزلًا. وعلى الرغم من خراب المنازل، ظلت أجزاء من بعض الجدران قائمة.

كما وُجدت بالقرب من بقايا البيوت حواجز حجرية استُخدمت حظائر للمواشي، وكانت المنطقة تستعمل مرعى لمواشي مزرعة كاري ديشي المجاورة الواقعة إلى الجنوب الغربي.

ويجب التنبيه إلى أن هذا الوصف لا يمثل تحققًا ميدانيًا من حالة القرية سنة 2026. فالمنهجية المنشورة لمشروع «كي لا ننسى / All That Remains» توضح أن فرق البحث الميداني زارت مواقع القرى بين سنتي 1987 و1990، قبل صدور الكتاب سنة 1992. ولذلك فهو وصف تاريخي موثق لحالة الموقع في تلك الفترة، لا تقريرًا ميدانيًا معاصرًا.

المصادر

- PalQuest – الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية: الزنغرية
- PalQuest – عملية يفتاح
- فلسطين في الذاكرة – زحلق (الزنغرية)، قضاء صفد
- فلسطين في الذاكرة – الزنغرية من كتاب كي لا ننسى لوليد الخالدي
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية – وليد الخالدي، كي لا ننسى / All That Remains
- PalQuest – منهجية كتاب All That Remains ومصادر الإحصاءات
- جامعة بيرزيت – Census of Palestine 1931: Population of Villages, Towns and Administrative Areas
- Government of Palestine – Census of Palestine 1922